مجلة الرائد

العدد : ٢٤٦ الموافق في رمضان ١٤٢٤ هجري ٢٠٠٣/١١ ميلادي

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة الأمريكية (٢/٢)	الكاتب : رشيد أبو ثور

الكتاب الرابع :

الولايات المتحدة طليعة الانحطاط

صدر في عام ١٩٩٦م .

يستعرض الأستاذ روجي جارودي في هذا الكتاب الوحشية التي تعتمدها الولايات المتحدة مباشرة أو من خلال وكلائها لإخضاع الشعوب الأخرى ، ويقرر أن كل هذه المآسي ليست إلا صوراً متنوعة لحرب واحدة يشنها" **معسكر تأليه السوق** Le monothéisme du marché " و " **عبادة المال** " على كل الذين يأبون الخضوع لإرادته ، ويمانعون في أن تمسخ ثقافتهم وتستغل ثرواتهم وتستعبد شعوبهم . ويبين أن الولايات المتحدة هي المتزعم الأساسي لمعسكر تأليه السوق بسبب طبيعة نشأتها من خليط من المهاجرين لا يجمعهم دين ولا ثقافة ولا قيم [i] ، إلا عبادة المال والسعي بأي ثمن وراء المصلحة الذاتية .

وتعتمد الولايات المتحدة وصفة واضحة ومتدرجة لإخضاع الشعوب الأخرى وبسط هيمنتها العالمية :

وهكذا تعتبر " المساعدة " المزعومة لدول العالم الثالث ، من أنجع عوامل إخضاعها ، وتعميق تبعيتها ، حيث تمنح استثمارات وقروض وحتى عطاءات ، للدول المستهدفة ، لتكبيلها بالديون من جهة ، وإسلامها للشركات المتعددة الجنسية ، لكي تستنزفها كما تشاء ، وبالشكل الذي تستحيل معه أية " تنمية " . وتعتبر مبادرة تصنيع دول العالم الثالث و " نقل التكنولوجيا " أسلوبا آخر لتشكيل " نموذج تنموي " قراره الإداري خارج البلاد ، ليؤدي إلى تبعية اقتصادية كاملة ، وتبعية سياسية مباشرة أو غير مباشرة.

وأنجع وسيلة لتأمين أداء الديون هو تنصيب دكتاتورية عسكرية ؛ وقد يتم القبول بعد ذلك بحكام منتخبين ، إذا وافقوا على أداء ديون العسكر ونسيان جرائمهم .

وهكذا ومن خلال الديون ، يواصل " صندوق النقد الدولي " و " البنك الدولي " ، منذ ٢٠ سنة ، تدمير نصف المعمورة الجنوبي ، من الأرجنتين إلى تانزانيا ، ومن باكستان إلى الفليبين ، وقد بدءا يطبقان اليوم نفس المنهج على دول شرق أوروبا .

وإذا استدعى الأمر التدخل العسكري الأمريكي المباشر فالذرائع جاهزة : من " حق التدخل الإنساني " ، الذي اعتمد في الصومال ؛ إلى الدفاع عن " القانون الدولي " وعن " الديمقراطية " وحقوق الإنسان ، لتبرير مجازر الخليج .

وقد يعتمد إشعال فتيل النزعات القومية ، أو المواجهات العرقية أو الدينية المزعومة ، لتكريس الهيمنة وتبرير التدخل .

ولمقاومة معسكر تأليه السوق يقترح الأستاذ جارودي برنامجاً عملياً وواقعياً واضحاً .

(١) بالنسبة " للعالم الثالث "

- فض كل النزاعات التي يغذيها سادة العالم الحاليين خدمة لمصالحهم .
- رفض أداء الديون المزعومة ، لأن الغرب هو المدين حقيقة تجاه العالم الثالث، بسبب ما نهبه المستعمر من جهة ولأنه قد تم تسديد هذه الديون منذ زمن طويل من خلال الفوائد الربوية .
- رفض " المساعدات " الحقيرة الهادفة إلى إخفاء هذا الظلم المتواصل منذ عدة قرون .
- إنشاء صندوق للتضامن بالأموال التي ستوفر برفض تسديد الديون وفوائدها ، لتعويض " المساعدة المزعومة " .
- فك كل أنواع " الحصار" التي يفرضها ظلماً " سادة العالم " المؤقتين على المستضعفين .
- إنشاء " سوق مشتركة " من شعوب العالم الثالث ، و إجراء هذه المبادلات على أساس المقايضة لتجنب استعمال عملة الشمال ، وخاصة منها الدولار ، في انتظار إنشاء عملة موحدة .
- المقاطعة المطلقة ، للولايات المتحدة وأتباعها ، لوضع حد لكل ضروب الهيمنة الاقتصادية والثقافية .

ـ الانسحاب الجماعي من كل الهيئات التي تحولت إلى أداة لهيمنة جهة واحدة ، وأصبحت تضفي الشرعية على اعتداءاتها العسكرية والاقتصادية والثقافية .

ـ السماح بالالتحاق بهذا التحالف لكل من يؤمن بمبادئه ، سواء كان جهة رسمية أو شعبية .

(٢) بالنسبة لأوروبا :

إن السياسة الوحيدة التي يمكن أن يكون لها اليوم مستقبل ، هي السياسة التي ستتمكن من حل مشاكل البطالة ، والهجرة ، و الجوع في العالم . ويكمن الحل الوحيد في تغيير جذري لعلاقة أوروبا مع العالم الثالث ، بوضع حد لهينة الغرب وتبعية الجنوب ، لأن التبعية هي التي تولد " التخلف " .

ويستدعي هذا مجموعة من القرارات السياسية ، تهدف كلها إلى التحرر من " عولمة " الاقتصاد المزعومة ، التي تعني عزم أمريكا على تحويل أوروبا وباقي العالم ، إلى مستعمرة تفتح الآفاق للاقتصاد الأمريكي في كل المجالات.

ويتطلب هذا ، الانسحاب من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وكل الهيئات الأخرى التي تُتخذ وسيلة لإرادة الهيمنة الأمريكية العالمية .وهذا ما سيمكن أوروبا من استعادة حرية ربط علاقات جديدة كلية مع العالم الثالث . بهدف إقامة عالمية حقيقية توفر لكل طفل ولكل امرأة ولكل رجل ، أيا كانت الحضارة التي ينتمون إليها ، الوسائل الاقتصادية والسياسية والثقافية التي تمكنهم من التنمية الكلية لكل الثروات التي يحملونها بين جنبيهم .

وإذا كان تشومسكي يرى الإصلاح من خلال الشعب الأمريكي ؛ وكان جارودي ينادي بإصلاح عالمي على مستوى الدول والحكومات ، فإن جان زيكلير يتحدث عن الإصلاح من خلال مؤسسات المجتمع المدني ، الذي يصفه بإسهاب في كتابه ، " سادة العالم " قائلاً :

يضم المجتمع المدني العالمي تحالفا لعدة حركات من القارات الخمس. ولقد شارك في المظاهرات التي نظمت احتجاجاً على قمة الثمانية الكبار بمدينة جينووا الإيطالية ، في يوليو ٢٠٠١م ، ٢٠٠,٠٠٠ شخص ، يمثلون ٨٠٠ حركة شعبية ونقابية ومنظمات غير حكومية ، أتت من ٨٢ دولة .

ومن ٣١ كانون الثاني/يناير إلى ٥ شباط/فبراير ٢٠٠٢م ، انعقد في بورطو ألجري Porto Alegre بالبرازيل الملتقى الاجتماعي العالمي الثاني ، وشارك فيه ٦٠,٠٠٠ مشارك أتوا من القارات الخمس ، وخاصة من أوروبا وأمريكا اللاتينية، ويمثلون أكثر من ٢٠٠٠ حركة شعبية ونقابية ومنظمات غير حكومية، أتت من ٨٨ دولة .

تعمل هذه المنظمات من خلال ٦ جبهات :

- المنظمات العمالية النقابية .
- حركات الفلاحين ، ومن ضمنها حركة " من لا أرض لهم " المنطلقة من البرازيل والتي تضم عبر العالم أكثر من ١٠٠ مليون عضو من صغار الفلاحين " .
- جبهة النساء التي تناضل عبر العالم من أجل حقوق المرأة .
- جبهة الشعوب المحلية المتمسكة بهويتها الأصيلة وبالأشكال الاجتماعية التقليدية التي كانت قائمة قبل الرأسمالية . وهم يمارسون مقاومة ثقافية في وجه الزحف الرأسمالي المدمر والمنمط ، بإحياء العادات والممارسات والأشكال التقليدية ، وخاصة في أمريكا اللاتينية ، حيث يسعون إلى العودة إلى التقاليد الهندية العريقة .
- جبهة الحركات الجمعوية والأحزاب البيئية .
- جبهة المنظمات غير الحكومية التي تعمل على واجهات متعددة .

وتعتبر حركة " أطاك ATTAC " التي أنشئت ستة ١٩٩٧ بمبادرة من صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية ، وبعض المثقفين والنقابيين الفرانكفونيين ، أهم هذه المنظمات ؛ وتضم ٢٢٠ لجنة محلية بفرنسا ، بالإضافة إلى ٤٠ فرع عالمي منتسب لأطاك العالمية ، وعلى رأسها أطاك ألمانيا وأطاك سويسرا .

في سنة ٢٠٠٢م كان لأطاك ٣٠,٠٠٠ عضو بالإضافة إلى ٤٦٢ نقابة و ٢٩١ جمعية . ويعرض موقع إنترنت لأطاك تقارير وتحليلات وكتب ومواضيع ومعلومات مختلفة . ويتم يوميا نسخ ٤٠,٠٠٠ ألف وثيقة من هذا الموقع ، من ١٣٠ دولة . ويعمل مع أطاك بشكل طوعي ٦٠٠ مترجم يتقنون ١٥ لغة.

بعد أطاك تأتي منظمة بريطانية " جوبلي ٢٠٠٠ Jubilé " وهي منظمة مسيحية تناضل من أجل الإلغاء الكلي لديون العالم الثالث الخارجية . وفي أقل من ٣ سنوات بعد إنشائها حصل طلبها هذا على ١٧ مليون توقيع . وتعتبر خصماً بارعاً ولدوداً للبنوك والمؤسسات المالية العالمية .

ومؤسسة Third World Network أنشئت سنة ١٩٩٦م وتضم المآت من التنظيمات المحلية والجهوية والوطنية للنضال كذلك من أجل إلغاء ديون العالم الثالث.

وهناك منتدى الفقراء الذي أنشئ في تايلاند سنة ١٩٩٥م من فلاحين وفقراء ، ويضم أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ عضو .

وهناك منظمات تناضل من أجل حقوق الطفل ومنظمة " العمل ضد الجوع " وغيرها في أوروبا .

وفي الولايات المتحدة تضم مؤسسة Fifty Years is Enough أكثر من ٢٥٠ جمعية مناهضة للعولمة . وفي كوريا الجنوبية هناك منظمات تعمل في صفوف نقابات شرق آسيا .

ففي كل قارة يعمل عدد من المتخصصين والخبراء الثائرين على الوضع الحالي الظالم ، على بناء عالم جديد ، يعمه العدل والإنصاف .

الكتاب الخامس :

ما بعد الإمبراطورية

صدر في عام 2002م .

أما الباحث إمانويل طود Emmanuel Todd الذي ألف سنة ١٩٧٦م كتاب " السقوط الأخير " متنبئاً فيه بتفكك الاتحاد السوفييتي ، فيقرر في كتابه " **ما بعد الإمبراطورية** " ، أن ما تمارسه اليوم الولايات المتحدة من استعراض مسرحي للعضلات العسكرية على دول ضعيفة ، لا يعبر عن القوة العسكرية ، بقدر ما يعبر عن حالة من التراجع ؛ فالولايات المتحدة لن تكون إمبراطورية تنفرد بالهيمنة على العالم ، لأنها قد دخلت في مسلسل من الانحطاط لا رجعة فيه، سيحولها في نهاية المطاف إلى قوة عادية .

يعتمد الكاتب في تحليله هذا على العوامل الثقافية الديمغرافية والاقتصادية ، ليقرر الخلاصة الآتية :

يتجه العالم نحو مرحلة من الاستقرار ، بسبب انتشار التعليم الذي يؤدي إلى تطلع الناس إلى مزيد من الديمقراطية وتحسين مستوى المعيشة ، غير أن هذا التحول يمر عبر مرحلة أليمة من التحولات التربوية والديمغرافية . والعالم الثالث نفسه في طريقه إلى مزيد من التقدم والديمقراطية ، وإن كان ذلك يتم عبر اندفاعات دينية وأيديولوجية عنيفة .

فلا وجود لأي تهديد شامل ، يستوجب نشاطا خاصا للولايات المتحدة لحماية الحريات والديمقراطية التي تراجعت في الولايات المتحدة نفسها ؛ والتهديد الوحيد للاستقرار العالمي يأتي اليوم من أمريكا التي انتقلت من دور الحامي ـ نظرياً ـ للديموقراطية والحرية والوضع الاقتصادي ، إلى دور السالب والناهب .

ففي الوقت الذي أضحى بديهياً أنه لم تعد هناك فائدة سياسية ولا عسكرية للولايات المتحدة ، تجد هذه الأخيرة نفسها غير قادرة على الاستغناء عن منتجات العالم . في سنة ١٩٤٥ كان الإنتاج الوطني الخام للولايات المتحدة يعادل نصف الإنتاج العالمي ؛ غير أن الهيمنة الأمريكية وفرضها لمبادئ الحرية الاقتصادية في مجال هيمنتها ، سيحدث تحولاً في الاقتصاد الأمريكي لتظهر أول علامات العجز في ميزانها التجاري مطلع السبعينات ، ومع تفكك الاتحاد السوفييتي وتوسع دائرة التبادل التجاري للولايات المتحدة ، تفاقم هذا العجز ليرتفع بين سنتي ١٩٩٠م و ٢٠٠٠م من ١٠٠ مليار دولار إلى ٤٥٠ مليار دولار . وهكذا أضحت الولايات المتحدة غير قادرة على الاستغناء عن العالم ، لسد عجزها التجاري هذا ، مما سيضطرها إلى خوض معارك سياسية وعسكرية للحفاظ على مكانتها ومستوى استهلاكها ؛ لكن العالم جد شاسع ، وجد مأهول بالسكان ، وجد متنوع ، وتخترقه الكثير من القوى التي لا يمكن التحكم فيها . فلا وجود لاستراتيجية ، أيا كانت درجة ذكائها ، تمكن أمريكا من التحويل من شبه إمبراطورية إلى إمبراطورية فعلية . إنها تفتقر للقوة العسكرية والاقتصادية والأيديولوجية اللازمة لذلك . ولهذا كلما حاولت إحكام قبضتها على العالم ، كلما أدى ذلك إلى ردود فعل سلبية تزيد وضعيتها الاستراتيجية إضعافاً .

عنوان المقال : قراءات حول الولايات المتحدة الأمريكية (٢/٢)	الكاتب : رشيد أبو ثور

ماذا جرى خلال العقد الأخير ؟ كانت هناك إمبراطوريتان حقيقيتان وجهاً لوجه : الاتحاد السوفييتي وأمريكا . غير أن السقوط القاسي للشيوعية جعل الناس يتوهمون أن هناك صعود قوي ومطلق للولايات المتحدة . و ظنت هذه الأخيرة أنه بمقدورها بسط هيمنتها على العالم بكامله ، في حين كانت هيمنتها على دائرة نفوذها آخذة في التراجع .

إن تحقيق هيمنة كوكبية كاملة ، يتوقف على شرطين في مجال ميزان القوى الحقيقية :

ـ مواصلة إحكام قبضتها على محميتها الأوروبية واليابانية ، التي أضحت تشكل قطبين لقوة اقتصادية حقيقية ، **على اعتبار أن القوة الاقتصادية الحقيقية تقوم على الإنتاج ، وليس على الاستهلاك .**

ـ القضاء المبرم على القوة الروسية الاستراتيجية : أي التمكن من التفتيت الكلي للمعسكر السوفييتي السابق ، والتنحية الكلية لتوازن الرعب النووي ، لتبقى الولايات المتحدة وحدها قادرة ومن طرف واحد ،على مهاجمة أية دولة في العالم دون أن تخشى من أي رد .

غير أن أوربا تسير يخطى ثابتة نحو الوحدة والاستقلالية ، ولا زالت اليابان تحتفظ بقدرتها على التصرف منفردة إذا ما ارتأت ذلك في يوم من الأيام . أما روسيا ، فتتجه نحو الاستقرار ؛ وبما أنها تواجه إمبريالية الولايات المتحدة الجديدة في شكلها المسرحي ، عملت على عصرنة جهازها العسكري ، وبدأت تلعب الشطرنج بفعالية وابتكارية على المستوى الدبلوماسي .

ولعدم تمكنها من التحكم في اليابان وأوربا في المحال الاقتصادي ، وفي روسيا في المجال النووي العسكري ، وحرصا منها على الظهور بمظهر الإمبراطورية ، لجأت الولايات المتحدة ، لعمليات عسكرية ودبلوماسية استعراضية في ساحة الضعاف : متمثلين في ما أسمتهم بـ " محور الشر " والعالم العربي .

وهكذا يجد العالم نفسه أمام استعراض عسكري أمريكي مسرحي ، يقوم على ثلاثة عناصر :

- ترك المشاكل بدون حلول نهائية لتبرير عملها العسكري الدائم على المستوى العالمي .
- التركيز على قوى عسكرية متواضعة لاستعراض عضلاتها ، بالشكل الذي قد يؤخر سعي أوروبا وروسيا واليابان وحتى الصين إلى اقتسام الهيمنة على العالم .

● تطوير أسلحة جديدة يفترض فيها أن تمكن الولايات المتحدة من إحداث فجوة كبرى بينها وبين غيرها في مجال سباق نحو التسلح الذي يجب ألا ينتهي .

مما لاشك فيه أن هذه الاستراتيجية تجعل من الولايات المتحدة عقبة في وجه الأمن العالمي ، لكن هل ستشكل الولايات المتحدة في المستقبل إمبراطورية ؟

تميزت الإمبراطوريات عبر التاريخ بخاصيتين :

ـ امتلاك قوة عسكرية هائلة تمكنها من إلزام الشعوب الخاضعة بأداء ضريبة مالية تغذي المركز.

ـ القدرة على معاملة الشعوب المحتلة على قدم المساواة مع مواطني المركز .

إذا كانت القوة العسكرية الأمريكية تفوق بكثير ما تحتاجه الولايات المتحدة للدفاع عن نفسها ، فإنها في نفس الوقت ليست بالحجم الذي يمكنها من فرض إرادتها وابتزازها على القوى العالمية الأخرى . والذي جعل الولايات المتحدة قادرة إلى الآن على جلب الأموال من العالم لسد عجزها على مختلف المستويات ، هو ما تمثله من ملاذ آمن لفائض الأموال العالمية التي غالبا ما تستثمر في المضاربات وليس في الإنتاج ؛ غير أن أي خلل أو إفلاس لهذه الشركات المضاربة يعرض الرساميل المستثمرة لديها للضياع ، ويكفي أن تتكرر حالات لإفلاس ، ولقد بدأت ، ليعم الهلع في أوساط أصحاب الأموال ، لكي تنهار الثقة ، ومعها الدولار ، ومعهما الوضعية الإمبراطورية للاقتصاد الأمريكي .

أما الخاصية الثانية المميزة للإمبراطوريات فتتمثل في قدرتها على معاملة الشعوب الخاضعة بنوع من المساواة والإنصاف ؛ وهذا أمر غير متوفر في الثقافة الأمريكية ، كما يشهد بذلك تاريخا وحاضرها .

هذه هي الولايات المتحدة كما تحدث عنها عدد من الباحثين والخبراء ، أتمنى أن تتجاوز بنا النظرة السطحية والجزئية التي تنقلها وسائل الإعلام.
